

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات في النص الأدبي القديم (نثر)

إعداد الأستاذة : حفيظة رواينية

طلبة السنة الأولى ليسانس

الأفواج : 8 ، 9 ، 10

المحاضرات : 8 ، 9 ، 10 ، 11

المحاضرة رقم 8 : فن الترسل

المحاضرة رقم 9 : الرسائل الديوانية في المشرق والأندلس

المحاضرة رقم 10: الرسائل الإخوانية في المشرق والأندلس

المحاضرة رقم 11 : الرسائل الأدبية في المشرق والأندلس

المحاضرة رقم 8 :

فن الترسل

- الترسل لغة ، من الرسل : وهو القطيع من الإبل والغنم ، والرسل : قطيع بعد قطيع ، فيقال جاءت الإبل أرسالا أي قطعاً ، والرَّسْلُ : السير السهل ، والمرسال : الناقة السهلة السير ، والرَّسْلُ ما أرسل من الغنم إلى الرعي ، ترسَّل ، اتأد وتمهل وتوقَّر في القراءة .. والإرسال : التوجيه ، والمرسلات : الرياح ، وتراسل القوم : أرسل بعضهم إلى بعض ، وأرسل الكلام أطلقه من غير قيد ، ومنه جاءت الرسالة والرسول
- الترسل اصطلاحاً :

-الترسل يعني كتابة الرسائل بكثرة ، ويكون هذا النوع عادة في دواوين الدولة خدمة للخلفاء والولاة والمتصرفين في إدارة شؤون الخلافة والمجتمع .

-والترسل : فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام آخر، وبذلك تتضمن الرسالة أقطابا ثلاثة هي : المرسل والمرسل إليه والرسالة .

- الترسل: فن نثري يُبرز مقدرة المترسل وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية .

- فن الترسل :هو أدب التكتائب عند العرب ، وظيفته إخبارية تواصلية يقوم على التسلح بثقافة حجاجية عالية

- يقول المرزوقي : "...المترسل محتاج إلى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شيئا منها رجعت النقيصة إليه ، وتوجهت اللائمة عليه ، منها : تبين مقادير من يكتب عنه وإليه ، حتى لا يرفع وضيعا، ولا يضع رفيعا ، [...] ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ، فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ، ويتفق أيضا ما تغني فيه الإشارة ويجري مجرى الوحي في الدلالة" (شرح ديوان الحماسة ج1 ، ص19 ، 20)

- والترسل عند المرزوقي يعني "كتابة الرسائل" ، وقد ربطه بالبلاغة والمكانة والشرف وحسن الرياسة ، يقول واصفا المترسلين بعد أن أجرى مقارنة بينهم وبين الشعراء : "...صار وجود المضطلعين بجودة النثر أعز ، وعددهم أنزر ، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها ، وبوأتهم منزلة رياستها ، فأخطارهم عاليه بحسب علو صناعتهم ، ومعاهد رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم ..." (شرح ديوان الحماسة ، ج1 ، 18) .

- وجوهر المعنى في الترسل : هو كتابة الرسائل وفن إنشائها ، وهذا يتطلب الكثير من الصبر والأناة والتجويد والبراعة

نشأة فن الترسل وتطوره

- لم يعرف العصر الجاهلي الكتابة الفنية ، والرسائل المنمقة المدبجة التي عرفت في عصور تالية
- ما كان معروفا ، من الكتابة ، في العصر الجاهلي : بعض العهود والأحلاف والعقود التجارية .. مما أطلق عليه الكتابة الاقتصادية والسياسية
- بعد مجيء الإسلام انتشرت الكتابة ، وظهرت الرسائل المتبادلة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤساء الدول المجاورة ، وبينه وبين أمراء العرب يدعوهم للإسلام ، وبين الخلفاء والأمراء ..
- وظيفة الرسالة في بداية نشأتها إخبارية إعلامية ، بسيطة ، صريحة ، لا ترمي إلا إلى الإخبار والإفهام ، مجردة من التحبير والتنميق
- ومنذ بداية العصر الأموي ظهر كتاب محترفون
- كما أنشئ ديوان خاص للخلافة يسمى " ديوان الرسائل " ، يشبه ما نسميه حاليا " وكالة الأنباء والأخبار " ، منه تخرج الرسائل السياسية والاقتصادية وإليه تعود بالردود
- أسهم استحداث ديوان الرسائل ، عصر الخلافة الأموية ، في تنافس الكتاب على إظهار البراعة والفصاحة لكسب الحظوة ونيل الرضى من الخلفاء ، وتعبيد السبيل للانضمام إلى فئة كتاب ديوان الرسائل المحظوظين
- كان كتاب الرسائل من أخص الرجال ، وأقربهم إلى الخلفاء والأمراء ، وأسبقهم إلى المناصب الرفيعة في السلطة
- ظهور حلقة من الكتاب في بلاط هشام بن عبد الملك يتزعمهم سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك ، تكتب الرسائل فتأخذ من الثقافات الفارسية واليونانية ما تجمل به أفكارها وأساليبها
- ومن مدرسة سالم بن عبد الله تخرج عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وعلى يديه تجلت كتابة الرسائل في أبهى مظاهرها وأوضح خواصها
- كان عبد الحميد الكاتب (رئيس ديوان رسائل آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد) من أبرع كتاب الرسائل وأبعدهم صيتا وأعظمهم أثرا ، اضطلع على كتابات من سبقه ، وتشبع بها وفهمها ، ثم ابتدعها ابتداعا في أسلوبها وأفكارها ، لم يسبق إليه أحد من قبله ، فكان علما

في صناعة الرسائل ، أرسى أصول وقواعد هذا الفن ، ويمكن الكتاب من طريقة جديدة في كتابة الرسائل

- وبعد العصر الأموي أولى العباسيون الكتابة عناية كبيرة تفوق عناية الأمويين ، لأن ديوان الرسائل والإنشاء أصبح ضرورة وحاجة ملحة " ومقوما من مقومات الملك " وتمكينه في وسط حضاري وثقافي متنوع ومتعدد ، " وقد بشر عبد الحميد الكاتب بهذا التطور بقوله في رسالته إلى الكتاب : " فجعلكم (يعني الله) معشر الكتاب من أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة ، والعلم والرواية ، وبكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها (...) فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبیطشون " . . .
- كثر الكتاب ، ونبغ الكثير منهم في فن الترسل ، واشتد التنافس بين الكتاب أنفسهم ، وبينهم وبين الشعراء ، وأصبح ديوان الرسائل مقصد ومطمح كل كاتب فذ ، يرتزق منه ، أو يروم اعتلاء المناصب العليا في الدولة كالوزارة مثلا ، وتبرز أسماء في هذا المجال منها : يحي بن خالد البرمكي وابنه جعفر ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وابن الأثير ، ولسان الدين بن الخطيب (في الأندلس).....
- إن تولي منصب صاحب ديوان الرسائل ، يقتضي البراعة في الإنشاء ، وحسن تطريز الكلام ، وإتقان آلة البلاغة ، فكانت الفترة الذهبية التي بلغ فيها فن الترسل أوجه القرنين الثالث والرابع الهجريين
- بمجيء العهد العثماني (عصر الضعف) تتغير الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، ويتلقد مناصب الدولة أعاجم من ولاة وسلاطين ، فينقهقر فن الترسل ، وتكسد سوقه ، وينزع الكتاب إلى التكلف والتصنع ، وإثقال الرسائل بأصناف وأنواع المحسنات البديعية والزخارف اللفظية والإطناب والحشو ...

دوافع ظهور الكتابة / فن الترسل

1- دافع حضاري :

-الحياة الجديدة في ظل الإسلام

- نضج الحركة الفكرية ، والنمو الحضاري والثقافي ، الذي

شهدته العصور التي تلت مجيء الإسلام

-تحول حياة العرب ونظمها من تقاليد البداوة وأعراف القبيلة

إلى تقاليد أمة توحدت في ظل دولة عربية إسلامية لها

نظمها وأعرافها الجديدة، وبالتالي التحول من بلاغة الشعر

وقيم البطولة البدوية ، إلى بلاغة النثر وقيم الحضارة

الجديدة (....شرح وتحليل)

2- اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وحاجة المسلمين إلى وسيلة لنقل

الأخبار والتواصل ، أسهم في بروز وتطور جنس الرسالة

3- امتزاج الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية ، وأثر هذا الامتزاج على

ظهور فن الترسل . (....تحليل)

4- ظهور طائفة من الكتاب المبتدعين الذين عملوا في ديوان الرسائل،

وعلى رأسهم عبد الحميد الكاتب

أنواع الرسائل

- تتنوع الرسائل بتنوع الموضوعات والعصور والمجتمعات ، منها ما

يرتبط بحياة الناس وقضاياهم الاجتماعية ، ومنها ما يتعلق بالسياسة

والأمراء ورجال الدولة ووطناتهم ومنها ما يتعلق بالحرب وإعداد

الجيوش ومنها ما يتنزل في الإطار الديني قصد النصح والإرشاد

والدعوة إلى العمل الصالح ومنها ما يكون حلبة للمباراة الأدبية

والنقدية والفلسفية ...

- يمكن أن نجمل أهم الأنواع في : الرسائل الديوانية والإخوانية

والأدبية

المحاضرة رقم 9 :

الرسائل الديوانية في المشرق والأندلس

- هي الرسائل التي تصدر عن الخلفاء والأمراء وذوي السلطة وكتابتهم إلى عمالهم لتوجيههم ، وتصريف شؤون الدولة ، ودعم نظام الحكم
- أي هي التي تصدر عن دواوين الدولة أو ترد إليها ، وتتعلق بالنشاط السياسي والإداري للدولة ، كالردع ، والتحذير ، وإخماد الفتن ، وقمع الأهواء ، وشؤون الضرائب ، وشؤون الجيش ، وإسداء النصيحة للمتمردين على الخليفة ، وشؤون المظالم ، والدعوة للجهاد وتزيينه للمجاهدين ، كما تضمنت أوامر الخلفاء بتولية الولاة أو عزلهم أو توجيههم وتذكيرهم بمسؤولياتهم والعمل على استقرار أمور الرعية وولاية العهد ، والبيعة الخ ، ولهذا أطلق عليها بعض الدارسين الرسائل السياسية ، أو السلطانية
- وتعرف بأنها " كل المراسلات والمخاطبات والوثائق وغيرها من ضروب الإنشاء ذات الطابع الرسمي ، والتي تدخل في باب من أبواب ترتيب الحكم ، وتنظيم المملكة ، وضبط الشؤون الإدارية ، ومراسلة الأطراف التي يكون التعامل معها على وجه من الوجوه ، داخل البلاد وخارجها ، جزءا من النشاط السياسي "
- ولا تختلف في ذلك الأقطار الإسلامية من المشرق إلى بلاد المغرب والأندلس إلا لماما (شرح وتوسيع)

خصائص الكتابة الديوانية

- البدء بذكر اسم الله وتحميده والصلاة على نبيه الكريم ، والدعاء لمتلقي الرسالة و مراعاة مقامه والثناء عليه وتعداد مناقبه .. مثال : أعزّ الله الأمير ، أصلح الله الأمير ، أيدك الله تعالى ، أكرمك الله ، جعلت فداك مما يدخل في آداب المخاطبات بما تقتضيه المراتبية الاجتماعية
- توشيتها بآيات القرآن الكريم ، ومحاكاة أسلوبه واستلهام صورته ومعانيه
- بدأت قصيرة موجزة ، بعيدة عن التكلف والمبالغة ، ثم اتجهت إلى الإطناب والتطويل، وتجنب الإيجاز، منذ عبد الحميد الكاتب (حسب مقتضيات الحال والأزمان)(شرح وتحليل)

- العناية بتقسيم العبارة وتجويد اللفظ وتحسينه بألوان البديع ، تدرجا من الاقتصاد في الصناعة اللفظية إلى التكلف بحسب تطور فن الترسل عبر العصور(شرح وأمثلة)
- خصوصية اللغة وتنزلها في الفضاء السياسي الذي يتطلب مصطلحات واستعمالات خاصة تحيل إلى مكانة المرسل ووجاهته

أشهر كتاب الرسائل الديوانية

- كتاب الرسائل في ديوان الإنشاء والرسائل لم يقصروا كتابتهم على الرسائل الديوانية وحدها ، فقد كتبوا في الأنواع الأخرى كالإخوانية والأدبيةشرح
- اشتهرت رسائل ديوانية صدرت عن خلفاء في القرن الأول للهجرة في محاسبة الولاة ،وردهم إلى الأحكام الدينية ، منها رسالة عمر بن الخطاب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص ، يسأله من أين لك هذا ؟ والرد على الرسالة ، وكذلك المراسلة التي كانت بين عدي بن أرطاة والي العراق يستأذن الخليفة عمر بن عبد العزيز في استخدام الشدة في معاملة أهل العراق ؛ ورد الخليفة عليه

1- ومن أشهر كتاب الرسائل الديوانية في المشرق

- **عبد الحميد الكاتب** ،الذي كان على رأس ديوان الرسائل عهد آخر خلفاء بني أمية (مروان بن محمد) ، فهو علم بارز في هذه الصناعة، ومنارة يهتدي بها كل من أراد الجمال والفصاحة في كتابته ، مثال على ذلك ، رسالته إلى الكتاب ، حيث سن فيها قواعد التزامها وسار على هديها كتاب الرسائل الديوانية من بعده ، وظلت طريقته تُحتذى في القرن الثالث للهجرة ، وكان من هذه القواعد : " التزام الكاتب في صدر رسالته بالتحميدات خاصة في موضوعات معينة ، كالتولية أو رسائل الجهاد ، وقد طالت هذه التحميدات في بعض الرسائل حتى صارت أشبه بخطبة دينية مستقلة، مما جعل بعض القدماء يجتزئون بالتحميدات عن مضمون الرسالة "

- **عمرو بن مسعدة** رئيس ديوان الرسائل ووزيرا في خلافة المأمون ، توفي في إحدى الغزوات عام (216هـ) .. كتب رسائل ديوانية عديدة

على لسان أمير المؤمنين المأمون ، منها رسالة تهديد ووعيد إلى أحد الخارجين والتأثرين عليه (نموذج)

- وغيرهم أمثال أحمد بن يوسف وقمامة بن زيد

2- ومن أشهر كتاب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس ، نجد :

- **القاضي الفاضل** رئيس ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الفاطمية واستمر في عهد صلاح الدين الأيوبي وابنه عبد العزيز، وكانت له مكانة أشبه بمكانة الوزير ، زعيم مذهب في الكتابة ، توفي سنة 596هـ ، كتب رسائل ديوانية على لسان صلاح الدين الأيوبي ، منها رسالة تهنئة وبشرى باستعادة بيت المقدس

- **البهاء زهير** رئيس ديوان الإنشاء عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بمصر ، كان من فضلاء عصره وأجودهم نظما ونثرا وخطا ، توفي سنة 656هـ ، كتب رسائل ديوانية عديدة ، منها رسالة إنذار ووعيد لقائد الحملة الصليبية على مصر لويس التاسع ملك فرنسا سنة 648هـ ، على لسان نجم الدين ، وكان قد تلقى إنذارا من لويس التاسع يفيض بالخطرة والتهديدشرح

- وتذكر كتب التاريخ أسماء كثيرة لكتاب ورؤساء دواوين الإنشاء عهد ملوك الطوائف وقبلهم ، منهم : **أبو بكر بن القصيرة** رئيس ديوان الإنشاء في مراكش لابن تاشفين ، **ومحمد بن أيمن** كاتب المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس ، وله رسالة موجهة إلى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بمراكش يستصرخه لنجدة الأندلس ، **وأبو جعفر أحمد بن عطية (مراكش) ، وأبو القاسم القالمي (من بجاية) ، وكذا ابن محشرة وعياش بن عبد الملك بن عياش القرطبي ، وعبد الرحمن بن مسعدة وأخوه يحيى في غرناطة وابن جبير الرحالة ، وأبو عبد الله محمد بن أبي الخصال ولسان الدين بن الخطيب**

نماذج من الرسائل الديوانية

- رسالة عبد الحميد الكاتب على لسان مروان بن محمد إلى ابنه عبد الله في شأن من شؤون الدولة

-

المحاضرة رقم 10 :

الرسائل الإخوانية في المشرق والأندلس

- وهي الرسائل التي يرسلها الناس بعضهم إلى بعض في المناسبات المختلفة ، غير الرسائل الديوانية ، كالتعبير عن الشوق ، والعتاب ، والتهنئة ، والتعزية ، والثناء ، والشكر ، والوصف ، وطلب الحاجة ، والاعتذار والاستعطاف والإهداء والاستزارةالخ
 - و الترسل أو الكتابة الإخوانية فن نشأ في فترة صدر الإسلام ، وتطور وازدهر في القرن الرابع الهجري وما بعده ، يقول زكي مبارك : " وقَدَم هذا الفن في اللغة العربية لا يمنع أنه صار في القرن الرابع فنًا قويا يخيّل إلى القارئ أنه فن جديد ؛ لكثرة ما جد فيه من الصور والتعابير "
 - أما الداعي إلى الترسل الإخواني ، فقد أشرنا إلى ذلك في المحاضرات السابقة (الحياة الجديدة في ظل الإسلام ، تغير المجتمع وتحوله وتطوره واتساع رقعته ، تجاوز الناس في الأمصار أو تباعدهم ، الفراغ ، التأنيق ، الصلات المختلفةشرح وتوسع)
 - ذاع الترسل الإخواني وانتشر انتشارا كبيرا ، وبرع فيه كتاب وبلغاء كان لهم فضل التمكين لهذا الفن ، وتأطير قواعده ، ولفت الانتباه إليه
 - وقد أشارت بعض المصنفات النقدية والتاريخية إلى أهمية وقيمة هذه الرسائل بكل أصنافها ، وبخاصة الإخوانية ، كـ " يتيمة الدهر " للثعالبي الذي جمع فقرات خاصة من التعابير الإخوانية منها :
 - مودة سكنت الصدر ، وحلت سواد القلب
 - مودة أدين بها عن خالص النفس ، وأودعها واسطة القلب ، وأجمع عليها نواحي الصدر ، وأحرسها من لواظ الدهر .
 - قد اتخذنا المودة بيننا دينا وخلقة ، ورأيناها بين الناس مجازا فأعدناها حقيقة
-الخ

- ألفت فصول وأبواب ومصنفات في الإخوانيات ، نذكر منها كتاب أبي حيان التوحيدي الموسوم بـ " الصداقة والصدق " يقول فيه : " الصداقة أذهب في مسالك العقل ، وأدخل في باب المروءة ، وأبعد من نوازي الشهوة ، وأنزه عن آثار الطبيعة ، وأشبه بذوي الشيب والكهولة ، وأرمى إلى حدود الرشاد ..."
- أحصى الفلقشندي سبعة عشر نوعا من الرسائل الإخوانية ، تعد موضوعات هذا الفن هي : " التهاني والتهادي والتعازي والشفاعات والشوق والاستزارة ، واختطاب المودة ، وخطبة النساء ، والاستعطاف ، والاعتذار ، والشكوى ، واستماعة الحوائج ، والشكر ، والعتاب ، والسؤال عن حال المريض ، والأخبار ، والمداعبة "
- هيمن موضوع الصداقة ، وخطب الود ، وإظهار مشاعر الشوق ، وغيرها من العواطف والمشاعر النبيلة على موضوعات الرسائل الإخوانية بسبب الحياة الحضرية ، وما تتطلبه من رقة في التعامل ، ودمائة في التواصل ، ونزوع إلى التهادي والتأنق والشكر ، فكانت الرسائل والمكاتبات الإخوانية وثائق أدبية صورت علاقات الأدباء مع بعضهم ، وعلاقة الأديب بمجتمعه ، ووسائل تناسب متطلبات الحضارة الجديدة

الخصائص الفنية للرسائل الإخوانية

- الرسائل الإخوانية تخضع لتأليف واستراتيجية المرسل ، فهي إبداع ذاتي
- ليس للرسالة هيكل واحد أو نموذج ثابت يحتذى ، فقد تطول أحيانا لحاجة المرسل إلى ذلك (المقام) وقد يوجزها صاحبها فتقترب من التوقيعات مثال ذلك رسالة عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته
- ومع ذلك فهي خطاب يتموقع ضمن جنس أدبي له خصائص وشروط تضبط مساره وتحدد نسقه ، كخضوعه لشيء من التأليف (مقدمة ومتن وخاتمة)
- البدء بالبسملة والتحميد والصلاة على رسوله الكريم
- تتميز بالطول والاتساع والبسط

- اختيار اللفظ مع أناقة العبارة
- تزيين الأسلوب وتحسينه بألوان البديع
- توشيح المعاني وتعميقها بالاقتباس من آيات القرآن الكريم

نماذج من الرسائل الإخوانية

- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل يعزيه في ابن له مات
- رسالة عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله التي تعج بروح الوعظ والإرشاد
- الرسائل المتبادلة بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي التي يمتزج فيها روح التواصل والمودة بالوعظ والخطب الدينية
- رسالة عبد الحميد الكاتب إلى أهله ، ساعة الشدة وظلام المحنة وآلام الهزيمة والفرار
- رسالة ابن العميد (360هـ)، وهو أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، الملقب بالأستاذ الرئيس ، إلى أبي عبد الله الطبري ؛ ردا على رسالته ، وكان صديقه وصفيه ، يصور فيها عواطفه نحوه ، ويبثه حبه ، ويكشفه بشوقه ، ويخبره عن أثر رسالته في نفسه
- رسائل القاضي الفاضل
- ابن أبي الخصال
- أبو جعفر بن عطية
- ابن زيدون
- ابن عبدون
-

المحاضرة رقم 11

الرسائل الأدبية

- هي الرسائل التي يتبادلها الأدباء فيما بينهم أو مع غيرهم ، ويكتبها أساطين البلاغة والبيان في قضايا إنسانية أخلاقية فكرية أدبية ، نزلها بعض الدارسين في باب التأليف
- هي رسائل " يكتبها البلغاء ، يسجلون فيها خواطرهم ، ويدونون آراءهم فيما يعن لهم من شؤون الاجتماع أو الفكر أو الأدب ، أو يعملون على تأييد مذهب ، وتفضيل فريق على فريق ، أو يكتبونها في الترويح عن النفس أو الفكاهة والسخرية ، ونحو ذلك بما يتجلى في السير والأسمار والخرافات والأخبار والقصص ...فضلا عن اصطناع الكتابة في فنون أخرى عديدة كالوصف والمناظرة ونحو ذلك من الموضوعات التي كانت وفقا على الشعر "
- ويدخل في هذا الباب أيضا الرسائل الديوانية والإخوانية ، ذلك " أن الرسالة الأدبية تختلف عن الرسالة الديوانية في الأغراض (...) أما الأسلوب النثري فهو متماثل في الصنفين " (تطور الأساليب النثرية ، عن الرسائل الأدبية / ص 64
- هي رسائل مطولة يكتبها الأدباء والبلغاء في شأن من الشؤون ، قد تكون وصفا للعلاقات بينهم، وقد تكون عتابا أو حثا على الزيارة ، وقد تكون هجاء ومُلاحاة
- إن تغير المجتمع وتطوره ، واتساع رقعته ، وتطور تقاليد الكتابة وفنون النثر ، وحاجة المجتمع إلى وسيلة جديدة متطورة للتعبير والتواصل ، كان من أقوى العوامل في ازدهار الرسائل الأدبية واتساع موضوعاتها
- الرسائل الأدبية " ترسم أحوال الأدباء وعلاقاتهم ببعضهم بعض ، وتصور البيئة الثقافية والاجتماعية التي كانوا يعيشون [فيها]"

موضوعات الرسائل الأدبية وأبرز كتابها

- نجمال بعض موضوعات الرسائل الأدبية وأبرز كتابها في ما يلي :
- 1- موضوع الهزل أو الرسائل الهزلية وما تشتمل عليه من مفاكهات ومباسطات أدبية ، كانت تدور بين البلغاء وأساطين الكلام مثل :
 - أ- رسالة " التربيع والتدوير " للجاحظ ، وجهها إلى أحمد بن عبد الوهاب الذي كان يخاشنه ويطاوله ، وينافسه شهرته ، فتندر عليه وهجاه ونعته مرة بالعرض والضخامة دون الطول ، وجمع فيه

بين التربيع والتدوير ، كما عاياه بمائة مسألة علمية في التاريخ والفلسفة والمنطق والكيمياء ، طلب عنها جوابا ، فجمع في رسالته الجد بالهزل والتهكم ، والحقائق بالخرافات والأساطير....يقول فيها : " كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ويدعي أنه مفرط الطول ، وكان مربعا تحسبه ، لسعة جفرتة واستفاضة خاصرته ، مدورا ، وكان جعد الأطراف ، قصير الأصابع ، وهو في ذلك يدعي السبابة والرشاقة ، وأنه عتيق الوجه ، أخصم البطن ، معتدل القامة ، تام العظم"

- جاءت الرسالة تامة البيان ، بليغة المضمون ، غزيرة المعرفة ، قدمت لنا صورة عن غزارة معرفة الجاحظ وعمق ثقافته وبراعة تصويره لخصمه

ب- " رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري ، وهي رد على رسالة تلقاها أبو العلاء من الأديب أبي الحسن علي بن منصور بن القارح ، وتتضمن إلى جانب الرد موضوعات مختلفة كالحديث عن المذاهب الفلسفية ، وعلوم اللغة وتاريخ الشعر ، والمعتقدات الدينية ، والحديث عن الزنادقة والمبتدعين كابن الراوندي ، والمتنبي ، وصالح بن عبد القدوس ، والحلاج... وهي قسمان :
1- رحلة خيالية لابن القارح بين الجنة والنار ، وفيها يصنف ويراتب الأشخاص ، فيضع من يضع في الجنة ، ويحشر من يحشر في جهنم ...

2- رد على ما جاء في رسالة بن القارح من اتهامات بالزندقة والإلحاد لأبي العلاء المعري ...

- جاء ذلك في سرد بديع ، وقص متسلسل خرج عن نسق الرسالة وشروطها إلى الإنشاء السردى المشوق ، وذلك بتحويل ابن القارح من قارئ (شخصية حقيقية) إلى مقروء سردي متخيل أي موضوعا للمحكي(شرح وتحليل)

ت- " الرسالة الهزلية لابن زيدون ، وجهها لخصمه ابن عبدوس الذي نافسه وشاركه حب ولادة بنت المستكفي

- تدرج الرسالة ضمن إطار الهجاء الساخر عند الأندلسيين ، وقد تطور إلى فن يعرف بالزرزوريات التي ابتدعها الكاتب الوزير أبو الحسن بن سراج في تشفع منه لرجل يعرف بالزرزور

- جاءت الرسالة تنفيضا عن غضبه وغيرته من خصمه ابن عبدوس ، على لسان الأديبة - حبيبة الشاعر صاحب الرسالة -

ولادة بنت الخليفة المستكفي ، استعمل فيها كل أساليب الهجاء الممكنة والسخرية اللاذعة ، مشوها صورة غريمه ، ليضع حدا لمنافسته له في حب ولادة ، متخذا طريقة الجاحظ في التهكم والعبث بخصمه والإضرار به

2- المناظرات : وتضم ما كان يجريه الأدباء من محاورات ومناظرات ومناقشات حول مسألة من المسائل اللغوية أو العقدية أو العلمية
-كما " تأتي المناظرة في صورة رسالة يدور الحوار فيها بين شيئين أو أكثر ، أو بين شخصين حول موضوع معين ، ويبنى هذا الحوار على التفاخر وإبراز المناصب والفضائل والصفات الحسنة بقصد ذم الخصم والتفوق عليه ، ويهدف الأديب من وراء مناظرته إلى إظهار قدرته البيانية وبراعته الأسلوبية في الموضوع الذي يكتب فيه " -من هذه الرسائل :

-رسالة الجاحظ في فخر السودان على البيضان

-ورسالته في مفاخرة الجواري والغلمان

-ومنها ما ذكره الهمذاني في : الرسائل حول مناظرته مع الخوارزمي - أبدع أدباء الأندلس في فن المناظرة ، وألفوا رسائل فيها مناظرات على السنة الجمادات ، منها :

-رسالة ابن برد الأصغر إلى الوزير أبي الوليد بن جهور ، يصف فيها خمسة من النواوير بغرض تفضيل الورد عليها وتقديمه وتنصيبه أميرا عليهم ...

-عارض أبي الوليد الحميري ابن الورد في تفضيله للورد ، وكتب

رسالة إلى المعتضد بن عباد ودعا إلى البهار ونصبه إماما

-رسالة أبي حفص بن برد في المناظرة بين السيف والقلم

-المناظرة بين ابن السيد البطليوسي وأبي بكر العربي ، وكان البطليوسي قد ألف شرحا لشعر المعري ، إلا أن أبا بكر انتقده انتقادا لاذعا ، أظهر فيه عدم تمكن صاحب الشروح ، وجهله لبعض الأمور اللغوية والنحوية

-من المناظرات الساخرة ما ورد في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ، حيث تصدت مجموعة من البغال تساجل أخرى من الحمير بمقطوعات شعرية

-والمناظرات بين البلدان

- والمناظرات الفلسفية (رد ابن رشد على الغزالي) ..

- رد ومناظرة أبي الإصبع بن الأرقم على ابن سيدة ، وكان -الأول -
قد كتب بأمر من إقبال الدولة رسالة إلى مصر، فانتقده ابن سيدة
مصححا عليه بعض الأمور
.....وغيرها من المناظرات الأدبية التي تأرجحت بين الأدب والفن
والشتم والتجريح والحقاقة

-تهدف هذه المناظرات إلى إقناع الآخر أو إجباره على الاعتراف
بالفضل، والمزية ، وإثبات الجدارة ، ورد التهمة ، وهذا في المناظرات
العلمية بشكل عام

خصائص الرسائل الأدبية في المشرق والأندلس

- الرسائل الأدبية خطاب إبلاغي ، يهدف إلى تحقيق غايات بلاغية ،
ومقاصد شعرية ، تتمظهر في صياغة العبارة النثرية بألفاظ شعرية ،
مما حقق لها إنشائية خاصة تبرز في بعض السمات والخصائص لفن
الرسالة منها :
- الاستشهاد والتضمين والاقتباس والمحاكاة ، وهي قاسم مشترك بين
كل الأجناس الأدبية ، " ولكنه يبرز عند المترسلين بشكل أوضح ،
لأنه قائم على التنافس بين المتخاطبين في إظهار قوة الشاهد ..."
- سيطر أسلوب الحجاج والاستدلال على الكثير من الرسائل الأدبية
- التصنيع في الرسائل ، وهو لا يقتصر على استعمال المحسنات
البديعية فحسب ، بل تصنيع الشواهد بحسب مقتضيات خطة الرسالة
- توظيف الثقافة الموسوعية ، وجمع ألوان المعرفة ، والحرص على
خصوصية الفكرة
- لغة الرسائل مصنوعة مقدودة ، ناتجة عن المتح من الموروث الثقافي
الحكمي والمثلي
- الافتتان في عرض الرسائل
- المزج بين النثر والشعر
- الميل إلى الإطناب والتطويل ... (الشرح)

المراجع

- 1- نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، حسين نصار
- 2- النثر الفني في القرن الرابع ، زكي مبارك
- 3- في النقد الأدبي ، عبد العزيز عتيق

- 4- تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ
- 5- النثر الأدبي في الأندلس مضامينه وأشكاله، علي بن محمد
- 6- الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، صالح بن رمضان
- 7- الرسائل الأدبية (النثرية) في القرن الرابع ، العراق والمشرق الإسلامي ،
غانم جواد رضا الحسن (قراءة pdf)
- 8- تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول ، عبد المنعم خفاجي
- 9- كتاب التربيع والتدوير، الجاحظ
- 10- النثر الخيالي في الأندلس ، دينا ملكاوي
- 11- المناظرة في الأندلس، الأشكال والمضامين آمنة بن منصور (pdf)
- 12- مراجع ذات علاقة بالنثر العربي القديم والرسائل بأنواعها